سورة الكهف

التأويل المنسوب إلى

محيى الدين ابن عربى



سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ١
قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ٢
ماكثين فيه أبدا ٣ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ٤
ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
أفواههم إن يقولون إلا كذبا ٥ فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ٦ إنا
جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ٧

إختصار وإعداد: قدرى جاد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

{ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا } * { قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً } * { مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً } .

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أثنى الله تعالى بلسان التفصيل على نفسه باعتبار الجمع من حيث كونه منعوتاً بإنزال الكتاب

وهو إدراج معنى الجمع في صورة التفصيل فهو الحامد والمحمود تفصيلاً وجمعاً، فالحمد إظهار الكمالات الإلهية والصفات الجمالية والجلالية

على الذات المحمدية باعتبار العروج بعد تخصيصه إياه بنفسه

في العناية الأزلية المشار إليه بالإضافة في قوله: عبده،

وذلك جعل عينه في الأزل قابلة للكمال المطلق من فيضه

وإيداع كتاب الجمع فيه بالقوة

التي هي الاستعداد الكامل وإنزال الكتاب عليه إبراز تلك الحقائق

عن ممكن الجمع الوحداني على ذلك المظهر الإنساني فهما متعاكسان باعتبار النزول والعروج والإنزال في الحقيقة حمد الله تعالى لنبيه

إذ المعاني الكامنة في أغيب الغيب ما لم ينزل على قلبه

فلم يمكنه حمد الله حق حمده فما لم يحمده الله

لم يحمد الله بل حمده حمده كما قال:

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،

حمد أولاً في عين الجمع نفسه باعتبار التفصيل ثم عكس

فقال: الحمد لله. { ولم يجعل له } أي: لعبده { عوجاً } أي: زيغاً وميلاً

إلى الغير كما قال:{ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ } [النجم، الآية: 17] أي: لم ير الغير

في شهوده. { قيماً } أي: جعله قيماً، يعني: مستقيماً كما أمر بقوله:

{ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ } [هود، الآية: 112]، والمعنى: جعله موحداً فانياً فيه

غير محتجب في شهوده بالغير ولا بنفسه لكونها غير

أيضاً ممكناً مستقيماً حال البقاء، كما قال:

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُواْ } [فصلت، الآية: 30]،

أو جعله قيماً بأمر العباد وهدايتهم

إذ التكميل يترتب على الكمال لأنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ

من تقويم نفسه وتزكيتها أقيمت نفوس أمته مقام نفسه

فأمر بتقويمها وتزكيتها ولهذا المعنى سمى إبراهيم صلوات الله عليه أُمَّة،
وهذه القيمية أي القيام بهداية الناس داخلة في الاستقامة المأمور هو بها

في الحقيقة { لينذر } متعلق بعامل قيماً أي: جعله قيماً بأمر العباد

{ لينذر بأساً شديداً } وحذف المفعول الأول للتعميم لأن أحداً لا يخلو

من بأس مؤمناً كان أو كافراً،

كما قال مامعناه: " أنذر الصدّيقين بأني غيور، وبشّر المذنبين بأني غفور "

إذ البأس عبارة عن قهره ولذلك عظمه بالتنكير، أي: بأساً يليق بعظمته وعزّته ووصفه بالشدّة وخصصه بقوله: { من لدنه }

والقهر قسمان: قهر محض ظاهره وباطنه قهر كالمختص بالمحجوبين بالشرك، وقسم ظاهره قهر وباطنه لطف، وكذا اللطف ،

كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: سبحان من اشتدّت نقمته

على أعدائه في سعة نعمته، واتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته.

ومن القسم الثاني القهر المخصوص بالموحدين من أهل الفناء أطلق الإنذار للكل تنبيهاً ثم فصل اللطف والقهر مقيدين بحسب الصفات والاستحقاقات فقال: { ويبشّر المؤمنين } أي: الموحدين

لكونهم في مقابلة المشركين الذين قلوا: اتخذ الله ولداً.

{ الذين يعملون الصالحات } أي: الباقيات من الخيرات والفضائل

لأن الأجر الحسن هو من جنة الآثار والأفعال التي تستحق بالأعمال.

{ وَيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَداً } * { مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً } *

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً }

واعلم أن الإنذار والتبشير اللذين هما من باب التكميل اللازم لكونه قيّماً عليهم كلاهما أثر ونتيجة عن صفتي القهر واللطف الإلهيين

اللذين محل استعداد قبولهما من نفس العبد الغضب والشهوة،

فإنّ العبد ما استعدّ لقبولهما إلا بصفتي الغضب والشهوة وفنائهما،

كما لم يستعدّ فلضيلتي الشجاعة والعفة إلا بوجودهما، فلما انتفتا قامتا مقامهما لأن كلاًّ منهما ظل لواحدة من تلك يزول بحصولها،

فعند ارتواء القلب منهما وكمال التخلق بهما حدث عن القهر الإنذار

عند استحقاقية المحل بالكفر والشرك وعن اللطف التبشير

باستحقاقية الإيمان والعمل الصالح، إذ الإفاضة

لا تكون إلا عند استحقاق المحل.

{ ما لهم به من علم ولا لآبائهم } أي: ما لهم بهذا القول من علم

بل إنما يصدر عن جهل مفرط وتقليد للآباء لا عن علم ويقين ويؤيده قوله: { كبرت كلمة } أي: ما أكبرها كلمة { تخرج من أفواههم } ليس في قلوبهم

من معناه شيء لأنه مستحيل لا معنى له إذ العلم اليقيني يشهد أن الوجود الواجبي العلي أحديّ الذات لا يماثله الوجود الممكن المعلول.

والولد هو المماثل لوالده في النوع المكافئ له في القوة والشهود الذاتي

يحكم بفناء الخلق في الحق والمعلول في المشهود،

فلم يكن ثم سوّاه شيء غيره فضلاً عن الشبيه والولد كما قال أحدهم:

هذا الوجود وإن تكثّر ظاهراً وحياتكم ما فيه إلا أنتم { إن يقولون إلاّ كذباً } لتطابق الدليل العقلي والوجدان الذوقي الشهوديّ على إحالته.

{ فلعلك باخع } أي: مهلك { نفسك } من شدّة الوجد والأسف

على توليهم وإعراضهم، وذلك لأن الشفقة على خلق الله والرحمة عليهم من لوازم محبة الله ونتائجه،

ولما كان ﷺ حبيب الله ومن لوازم محبوبيته محبته لله لقوله:

{ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة، الآية: 54] وكلما كانت محبته للحق أقوى كانت شفقته ورحمته على خلقه أكثر لكون الشفقة عليهم ظلّ محبته لله

اشتدّ تعطفه عليهم، فإنهم كأولاده وأقاربه بل كأعضائه وجوارحه

في الشهود الحقيقي، فلذلك بالغ في التأسف عليهم حتى كاد يهلك نفسه. وأيضاً علم أن المحب إذا تقوّى بالمحبوب في استمرار الوصل

ظهر قبوله في القلوب لمحبة الله إياه.

{ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً } *

{ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً } *

{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً }

فلما لم يؤمنوا بالقرآن استشعر ببقية من نفسه وتوجس بنقصان حاله فعلاه الوجد وعزم على قهر النفس بالكلية طلباً للغاية وكان ذلك

من فرط شفقته عليهم وكمال أدبه مع الله حيث أحال عدم إيمانهم

على ضعف حاله لا على عدم استعدادهم ولذلك سلاَّه ..

بقوله: { إنّا جعلنا } أي: لا تحزن عليهم فإنه لا عليك أن يهلكوا جميعاً،

إنّا نخرج جميع الأسباب من العدم إلى الوجود للابتلاء ثم نفنيها

ولا حيف ولا نقص، أو إنّا جعلنا ما على أرض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوى صفاتها وإدراكاتها ودواعيها،

{ زينة } لها ليظهر أيهم أقهر لها وأعصى لهواها في رضاي

وأقدر على مخالفتها لموافقتي. { وإنّا لجاعلون } بتجلينا وتجلي صفاتنا

{ ما عليها } من صفاتها هامدة كأرض ملساء لا نبات فيها

أي: نفنيها وصفاتها بالموت الحقيقي أو بالموت الطبيعي ولا نبالي،

بل { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً }

أي: إذا شاهدت هذا الإنشاء والإفناء فليس حال أصحاب الكهف

آية عجيبة من آياتنا بل هذه أعجب.

واعلم أن أصحاب الكهف هم السبعة الكمل القائمون بأمر الحق دائماً الذين يقوم بهم العالم ولا يخلو عنهم الزمان على عدد الكواكب السبعة السيّارة وطبقها فكما سخرها الله تعالى في تدبير نظام عالم الصورة

كما أشار إليه بقوله:{ فَٱلسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً } [النازعات، الآيات: 4-5]

على بعض التفاسير وكل نظام عالم المعنى وتكميل نظام الصورة

إلى سبعة أنفس من السابقين كل ينتسب بحسب الوجود الصوري

إلى واحد منهم، والقطب هو المنتسب إلى الشمس

والكهف هو باطن البدن والرقيم ظاهره الذي انتقش بصور الحواس والأعضاء إن فسر باللوح الذي رقمت فيه أسماؤهم والعالم الجسماني

إن جعل اسم الوادي الذي فيه الجبل والكهف والنفس الحيوانية

إن جعل اسم الكلب والعالم العلوي إن جعل اسم قريتهم

على اختلاف الأقوال في التفاسير ومنهم الأنبياء السبعة المشهورون المبعوثون بحسب القرون والأدوار،

وإن كان كل نبيّ منهم على ذكر وهم: آدم وإدريس ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لأنه السابع المخصوص

بمعجزة انشقاق القمر، أي: انفلاقه عنه لظهوره في دورة ختم النبوة

وكمل به الدين الإلهي كما أشار إليه بقوله ﷺ:

" إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض "

إذ المتأخر بالزمان والظهور أي: الوجود الحسيّ هو الحائز لصفات الكلّ وكمالاتهم كالإنسان بالنسبة إلى سائر الحيوانات،

ولهذا قال ﷺ: " كأنّ بنيان النبوّة قد تمّ

وبقي منه موضع لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة "

وقد اتفق الحكماء المتألهة من قدماء الفرس أن مراتب العقول والأرواح

على مذهبهم في التنازل تتضاعف إشراقاتها، فكل من تأخر في الرتبة

كان حظه من إشراقات الحق وأنواره وسبحات أشعة وجهه وإشراقات أنوار الوسائط أوفر وأزيد فكذا في الزمان فهو الجامع الحاصر لصفات الكل وكمالاتهم الحاوي لخواصهم ومعانيهم مع كماله الخاص به

اللازم للهيئة الاجتماعية، كما قال ﷺ .

{ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً } * { فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً } *

{ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُواْ أَمَداً }

(إذ أوى الفتْيَة إلى الكهف) أي: كهف البدن بالتعلق به { فقالوا }

بلسان الحال { ربنا آتنا من لدُنك } أي: من خزائن رحمتك التي هي أسماؤك الحسنى { رحمة } كما لا يناسب استعدادنا ويقتضيه { وهيئ لنا من أمرنا } الذي نحن فيه من مفارقة العالم العلوي والهبوط إلى العالم السفلي للاستكمال { رشداً } استقامة إليك في سلوك طريقك والتوجه إلى جنابك، أي: طلبوا بالاتصاف البدني..

والتعلق بآلات الكمال وأسبابه الكمال العلمي والعملي.

{ فضربنا على آذانهم } أي: أنمناهم نومة الغفلة عن عالمهم وكمالهم نومة ثقيلة لا ينبههم صفير الخفير ولا دعوة الداعي الخبير.

في كهف البدن { سنين } ذوات عدد، أي: كثيرة أو معدودة

أي: قليلة هي مدة انغماسهم في تدبير البدن وانغمارهم في بحر الطبيعة مشتغلين بها، غافلين عما وراءها من عالمهم إلى أوان بلوغ الأشد الحقيقي، والموت الإرادي أوالطبيعي،

كما قال: " الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا ".

{ ثم بعثناهم } أي: نبهناهم عن نوم الغفلة بقيامهم عن مرقد البدن ومعرفتهم بالله وبنفوسهم المجرّدة { لنعلم } أي: ليظهر علمنا في مظاهرهم

أو مظاهر غيرهم من سائر الناس { أيّ الحزبين } المختلفين في مدة لبثهم وضبط غايته الذين يعينون المدة أم يكلون علمه إلى الله،

فإن الناس مختلفون في زمان الغيبة. يقول بعضهم: يخرج أحدهم على رأس كل ألف سنة وهو يوم عند الله، لقوله:

{ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } [الحج، الآية: 47].

ويقول بعضهم: على رأس كل سبعمائة عام أو على رأس كل مائة،

وهو بعض يوم، كما قالوا:{ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [الكهف، الآية: 19].
والمحققون المصيبون هم الذين يكلون علمه إلى الله كالذين قالوا:

{ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ } [الكهف، الآية: 19]

ولهذا لم يعين رسول الله ﷺ وقت ظهور المهديّ عليه السلام،

وقال: " كذب الوقّاتون "

{ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى }

{ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلـٰهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً } * { هَـٰؤُلاۤءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً }

{ إنهم فتية آمنوا بربّهم } إيماناً يقيناً علمياً على طريق الاستدلال

أو المكاشفة { وزدناهم هدى } أي: هداية موصلة إلى عين اليقين

ومقام المشاهدة بالتوفيق.

{ وربطنا على قلوبهم } قويناها بالصبر على المجاهدة، وشجعناهم

على محاربة الشيطان ومخالفة النفس، وهجر المألوفات الجسمانية، واللذات الحسيّة، والقيام بكلمة التوحيد، ونفي إلهية الهوى،

وترك عبادة صنم الجسم بين يدي جبّار النفس الأمّارة من غير مبالاة بها حين عاتبتهم على ترك عبادة إله الهوى وصنم البدن،

وأوعدتهم بالفقر والهلاك، إذ النفس داعية إلى عبادته وموافقته،

وتهيئة أسباب حظوظه مخيفة للقلب من الخوف والموت،

أو جسرناهم على القيام بكلمة التوحيد، وإظهار الدين القويم والدعوة

إلى الحق عند كل جبّار هو دقيانوس وقته كنمروذ وفرعون وأبي جهل وأضرابهم ممن دان بدينهم واستولى عليه النفس الأمّارة فعبد الهوى،

أو ادّعى لطغيانه، وتمرد أنائيته وعدوانه الربوبية من غير مبالاة عند معاتبته إياهم على ترك عبادة الصنم المجعول كما هو عادة بعضهم أو صنم نفسه، كما قال فرعون اللعين:{ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي } [القصص، الآية: 38]

و{ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلأَعْلَىٰ } [النازعات، الآية: 24].

{ هؤلاء قومنا } إشارة إلى النفس الأمارة وقواها، لأن لكل قوم إلهاً تعبده وهو مطلوبها ومرادها، والنفس تعبد الهوى كقوله:{ أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ } [الجاثية، الآية: 23]، أو إلى أهل زمان كل من خرج منهم داعياً إلى الله،

إذ كل من عكف على شيء يهواه فقد عبده. { لولا يأتون عليهم } أي:

على عبادتهم وإلهيتهم وتأثيرهم ووجودهم { بسلطان بيّن } أي: حجة بيّنة دليل على فساد التقليد وتبكيت بأن إقامة الحجة على إلهية غير الله

وتأثيره ووجوده محال، كما قال:

{ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم

مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ } [النجم، الآية: 23

أي: اسماء بلا مسميات لكونها ليست بشيء .

(وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقاً)

(وإذ اعْتَزلتموهم } أي: فارقتم نفوسكم وقواها بالتجرّد

{ وما يعبدون إلاَّ الله } من مراداتها وأهوائها { فأووا إلى الكهف } إلى البدن لاستعمال الآلات البدنية في الاستكمال بالعلوم والأعمال،

وانخزلوا فيه منكسرين، مرتاضين، كأنهم ميتون بترك الحركات النفسانية والنزوات البهيمية والسطوات السبعية، أي: موتوا إرادياً .

{ ينشر لكم ربكم من رحمته } حياة حقيقية بالعلم والمعرفة { ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً } كما لا ينتفع به بظهور الفضائل وطلوع أنوار التجليات، فتلتذون بالمشاهدات وتتمتعون بالكمالات كما قال تعالى:

{ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ } [الأنعام، الآية: 122]،

وقال عليه السلام في أبي بكر رضي الله عنه: " من أراد أن ينظر ميتاً يمشي على وجه الأرض فلينظر أبا بكر " ، أي: ميتاً عن نفسه يمشي بالله.

أو وإذ اعتزلتم قومكم ومعبوداتهم غيّر الله من مطالبهم المختلفة، ومقاصدهم المتشتتة، وأهوائهم المتفننة، وأصنامهم المتخذة،

فأووا إلى كهوف أبدانكم وامتنعوا عن فضول الحركات والخروج في أثر الشهوات، واعكفوا على الرياضات،{ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ } [الكهف، الآية: 16] زيادة كمال وتقوية ونصرة بالأمداد الملكوتية، والتأييدات القدسية، فيغلبكم عليهم ويهيئ لكم ديناً وطريقاً ينتفع به، وقبولاً يهتدي بكم الخلائق ناجين. وفي المأوى إلى الكهف عند مفارقتهم سر آخر يفهم من دخول المهدي

في الغار إذ أُخرج ونزل عيسى والله أعلم.

وفي نشر الرحمة وتهيئة المرفق من أمرهم عند الأوي إلى الكهف **إشارة**

إلى أنّ الرحمة الكامنة في استعدادهم

إنما تنتشر بالتعلق البدني والكمال بتهيئاته.

(وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً)

(وترى الشمس) أي: شمس الروح { إذا طلعت }

أي: ترقت بالتجرّد عن غواشي الجسم وظهرت من أفقه تميل بهم ،

من جهة البدن وميله ومحبته إلى جهة اليمين أي: جانب عالم القدس، وطريق أعمال البرّ من الخيرات والفضائل والحسنات والطاعات.

وسيرة الأبرار، فإن الأبرار هم أصحاب اليمين.

{ وإذا غربت } أي: هوت في الجسم واحتجبت به، واختفت في ظلماته وغواشيه، وخمد نورها، تقطعهم وتفارقهم كائنين في جهة الشمال،

أي: جانب النفس وطريق أعمال السوء

فينهمكون في المعاصي والسيئات والشرور والرذائل.

وسيرة الفجار الذين هم أصحاب الشمال { وهم في فجوة منه }

أي: في مجال متسع من بدنهم هو مقام النفس والطبيعة،

فإن فيه متفسحاً لا يصيبهم فيه نور الروح.

واعلم أن الوجه الذي يلي الروح من القلب موضع منور بنور الروح

يسمى العقل وهو الباعث على الخير والمطرق لإلهام الملك

والوجه الذي يلي النفس منه مظلم بظلمة صفاتها يسمى الصدر

وهو محل وسوسة الشيطان،

كما قال:{ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ } [الناس، الآية: 5]،

فإذا تحرك الروح وأقبل القلب بوجهه إليه تنور وتقوى بالقوة العقلية
الباعثة المشوقة إلى الكمال ومال إلى الخير والطاعة،

وإذا تحركت النفس وأقبل القلب بوجهه إليها تكدر واحتجب عن نور الروح
وأظلم العقل ومال إلى الشر والمعصية.

وفي هاتين الحالتين تطرق الملك للإلهام والشيطان للوسواس

وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وفي الآية لطيفة هي: أنه استعمل في الميل إلى الخير الازورار عن الكهف،
وفي الميل إلى الشر قرضهم اي: قطعهم، وذلك أن الروح يوافق القلب

في طريق الخبر ويأمره به ويوافقه معرضاً عن جانب البدن وموافقاته

ولا يوافقه في طريق الشر بل يقطعه ويفارقه وهو منغمس في ظلمات النفس وصفاتها الحاجبة إياه عن النور وهو إشارة إلى تلوينهم في السلوك،

فإن السالك ما لم يصل إلى مقام التمكين وبقي في التلوين قد تظهر عليه النفس وصفاته فيحتجب عن نور الروح

ثم يرجع ذلك أي: طلوع نور الروح واختفاؤه من آيات الله التي يستدل بها ويتوصل منها إليه وإلى هدايته.

{ من يهد الله } بإيصاله إلى مقام المشاهدة والتمكين فيها

{ فهو المهتد } بالحقيقة لا غير، { ومن يضلل } بحجبه عن نور وجهه

فلا هادي له ولا مرشد أو من يهد الله إليهم وإلى حالهم بالحقيقة

ومن يضلله يحجبه عن حالهم.

(وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً } * { وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً } *

(إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوۤاْ إِذاً أَبَداً).

(وتحسبهم أيقاظاً) يا مخاطب لانفتاح أعينهم

وإحساساتهم وحركاتهم الإرادية الحيوانية { وهم رقود } بالحقيقة

في سِنة الغفلة تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون

{ ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال } أي: نصرفهم إلى جهة الخير

وطلب الفضيلة تارة، وإلى جهة الشر ومقتضى الطبيعة أخرى.

{ وكلبهم } أي: نفسهم { باسطٌ ذراعيه } أي: ناشرة قوتيها الغضبية
والشهوانية { بالوصيد } أي: بفناء البدن،

ولم يقل: وكلبهم هاجع

لأنها لم ترقد بل بسطت القوتين في فناء البدن ملازمة له لا تبرح عنه،
والذراع الأيمن هو الغضب لأنه أقوى وأشرف وأقبل

لدواعي القلب في تأديبه،

والأيسر هو الشهوة لضعفها وخستها .

{ لو اطّلعت عليهم } أي:

على حقائقهم المجردة وأحوالهم السنية وما أودع الله فيهم من النورية
والسَنا، وما ألبسهم من العز و البهاء { لوليت منهم } فارّاً لعدم اعتقادك
بالنفوس المجردة وأحوالها وعدم استعدادك لقبول كمالهم،

أو لوليت منهم للفرار عنهم وعن معاملاتهم لميلك إلى اللذات الحسيّة
والأور الطبيعية { ولملئت منهم رعباً } من أحوالهم ورياضاتهم،

أو لو اطلعت عليهم بعد الوصول إلى الكمال وعلى أسرارهم ومقاماتهم

في الوحدة لأعرضت عنهم وفررت من أحوالهم وملئت منهم رعباً

لما ألبسهم الله من عظمته وكبريائه.

وأين الحدث من القدم، وأنَّى يسع الوجود العدم.

{ وكذلك بعثناهم } أي: مثل ذلك البعث الحقيقي والإحياء المعنوي بعثناهم { ليتساءلوا بينهم } أي: ليتباحثوا بينهم عن المعاني المودعة

في استعدادهم الحقائق المكنونة في ذواتهم فيكملوا بإبرازها وإخراجها

إلى الفعل، وهو أول الانتباه الذي تسميه المتصوفة اليقظة،

{ قال قائل منهم كم لبثتم } مرّ تأويله، والمحققون منهم هم الذين

{ قالوا ربّكم أعلم بما لبثتم فابْعَثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة }

هذا هو زمان استبصارهم واستفادتهم واستكمالهم.

والورق هو ما معهم من العلوم الأولية التي لا تحتاج إلى كسب،

إذ بها تستفاد الحقائق الذهنية من العلوم الحقيقية والمعارف الإلهية.

والمدينة محل الاجتماع، إذ لا بد من الصحبة والتربية أو مدينة العلم

من قوله عليه السلام: " أنا مدينة العلم وعليّ بابها "

وإنما بعثوا أحدهم لأن كمال الكل غير موقوف على التعليم

والتعلم بل الكمال الأشرف هو العلمي فيكفي تعلم البعض

عن كل فرقة وتنبيه الباقين كما قال تعالى:

{ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ

إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ } [التوبة، الآية: 122]. { فلينظر أيها أزكى طعاماً } أي: أهلها أطيب وأفضل علماً وأنقى من الفضول واللغو والظواهر كعلم الخلاف والجدل والنحو وأمثالها التي لا تتقوى ولا تكمل بها النفس،

كقوله:{ لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ } [الغاشية، الآية: 7]، إذ العلم غذاء القلب كالطعام للبدن وهو الرزق الحقيقي الإلهي { وليتلطف } في اختيار الطعام ومن يشتري منه أي: ليختر المحقق الزكي النفس، الرشيد السمت،

الفاضل السيرة، النقي السريرة، الكامل المكمل دون الفضولي الظاهري الخبيث النفس، المتعالم، المتصدّر، لإفادة ما ليس عنده ليستفيد بصحبته ويظهر كماله بمجالسته ويستبصر بعلمه فيفيدنا أو ليتلطف في أمره

حتى لا يشعر بحالكم ودينكم، جاهل من غير قصد له،

{ ولا يشعرنّ بكم أحداً } من أهل الظاهر المحجوبين وسكان عالم الطبيعة المنكرين، وإن أولنا أصحاب الكهف بالقوى الروحانية فالمبعوث هو الفكر، والمدينة محل اجتماع القوى الروحانية والنفسانية والطبيعية

والذي هو أزكى طعاماً العقل دون الوهم والخيال والحواس،

لأن كل مدرك له طعام والرزق هو العلم النظري على كلا التقديرين،

ولا يشعرنّ بكم أحداً من القوى النفسانية .

(إنهم إن يظهروا) أي: يغلبوا { عليكم يرجموكم } بحجارة الأهواء والدواعي من الغضب والشهوة وطلب اللذة فيقتلوكم بمنعكم عن كمالكم

{ أو يعيدوكم في ملّتهم } باستيلاء الوهم وغلبة الشيطان والإمالة إلى الهوى وعبادة الأوثان وعلى التأويل الأول ظهور العوام، واستيلاء المقلدة والحشوية المحجوبين، وأهل الباطل المطبوعين، ورجمهم أهل الحق، ودعوتهم إياهم إلى ملّتهم ظاهر كما كان في زمان رسول الله ﷺ .

(وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوۤاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا
إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ
قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً } *
{ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْماً بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم
مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً
وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَداً

(وكذلك أعثرنا عليهم) أي: مثل ذلك البعث والإنامة أطلعنا على حالهم المستعدّين القابلين لهديهم ومعرفة حقائقهم { ليعلموا } بصحبتهم وهدايتهم { أنّ وعد الله } بالبعث والجزاء { حق وأنّ الساعة لا ريب فيها

إذ يتنازعون بينهم أمرهم } أي: حين يتنازع المستعدون الطالبون بينهم أمرهم في المعاد، فمنهم من يقول: إن البعث مخصوص بالأرواح المجردة دون الأجساد، ومنهم من يقول: إنه بالأرواح والأجساد معاً،

فعلموا بالاطلاع عليهم ومعرفتهم أنه بالأرواح والأجساد وأن المعاد الجسماني حق، { فقالوا ابنوا عليهم بنياناً } أي: فلما توفوا قالوا ذلك كالخانقاهات والمشاهد والمزارات المبنية على الكمل،

المقربين من الأنبياء والأولياء كإبراهيم ومحمد وعلى سائر الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام. { ربّهم أعلم بهم } من كلام أتباعهم من أممهم والمقتدين بهم، أي: هم أجلّ وأعظم شأناً من أن يعرفهم غيرهم،

الموحدون الهالكون في الله، المتحققون به، فهو أعلم بهم كما:

" أوليائي تحت قبائي، لا يعرفهم غيري " { قال الذين غلبوا على أمرهم }

من أصحابهم والذين يلون أمرهم تبركاً بهم وبمكانهم

{ لنتخذنّ عليهم مسجداً } يصلى فيه.

{ سيقولون } أي: الظاهريون من أهل الكتاب والمسلمين الذين لا علم لهم بالحقائق. وقوله: { رجماً بالغيب } أي: رمياً بالذي غاب عنهم، يعني: ظنّاً خالياً عن اليقين بعد قولهم: { ثلاثة رابعهم كلبهم } و { خمسة سادسهم كلبهم } وتوسيط الواو الدالة على أن الصفة مجامعة للموصوف ولا تفارقه، وأنه لا عدد وراءه بين قوله: { ويقولون سبعة } وبين { وثامنهم كلبهم }. وقوله: { ما يعلمهم إلا قليل } بعده، يدل على أنّ العدد هو سبعة لا غير، فالقليل هم المحققون القائلون به وإن أوّلناهم بالقوى الروحانية

فهم العاقلتان: النظرية والعملية، والفكر والوهم، والتخيل والذكر،

والحسّ المشترك المسمى بنطاسيا،

والكلب النفس والشمس والروح على كلا التأويلين.

ولهذا روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: " إنهم كانوا سبعة، ثلاثة عن يمين الملك وثلاثة عن يساره، والسابع هو الراعي صاحب الكلب " ، فإن صحت الرواية فالملك هو دقيانوس النفس الأمّارة،

والثلاثة الذين كانوا عن يمينه يستشيرهم هم العاقلتان والفكر،

والثلاثة الذين كانوا عن يساره يستوزرهم هم التخيل والوهم والذكر، والراعي هو بنطاسيا صاحب أغنام الحواس،

والذين قالوا هم ثلاثة ارادوا القلب والعاقلتين، والذين قالوا خمسة

زادوا عليهم الفكر والوهم وتركوا المدرك للصور والذكر لعدم تصرفهما وكون كل منهما كالخزانة.

وعلى هذا التأويل فالاطلاع للفئة المحققين من الحضرة الإلهية على بقاء النفس بعد خراب البدن، والتنازع، هو التجاذب والتغالب الواقع بين القوى في الاستيلاء على البدن الذي يبعثون فيه وهو البنيان المأمور ببنائه والآمرون هم الغالبون الذين قالوا: { لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً } [الكهف، الآية: 21] يسجد، أي: ينقاد فيه جميع القوى الحيوانية و الطبيعية والنفسانية والمأمورون هم المغلوبون الفاعلون في البدن المبعوث فيه

والله أعلم.

(وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً (* (إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَداً)

(ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك) أدّبه بالتأديب الإلهي بعدما نهاه

عن المماراة والسؤال، فقال: " لا تقولنّ إلا وقت أن يشاء الله " بأن يأذن لك في القول فتكون قائلاً به وبمشيئته أو إلا بمشيئته على أنه حال،

أي: ملتبساً بمشيئته، يعني: لا تقولنّ لما عزمت عليه من فعل إني فاعل ذلك في الزمان المستقبل إلا ملتبساً بمشيئة الله، قائلاً: إن شاء الله،

أي: لا تسند الفعل إلى إرادتك بل إلى إرادة الله، فتكون فاعلاً به وبمشيئته

{ واذْكر ربّك } بالرجوع إليه والحضور { إذا نسيت } بالغفلة عند ظهور النفس والتلوين بظهور صفاتها { وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا } أي: من الذكر عند التلوين وإسناد الفعل إلى صفاته بالتمكين

والشهود الذاتي المخلص عن حجب الصفات { رشداً } استقامة،

وهو التمكين في الشهود الذاتي .

(وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعاً) * { قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً } * { وَٱتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً } * { وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) *

(وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً)

(ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) من التي تبتنى على دور القمر فتكون كل سنة شهراً ومجموعها خمسة وعشرون سنة،

وذلك وقت انتباههم وتيقظهم { وازْدَادُوا تِسْعاً } هي مدة الحمل.

وروعيت في الآية نكتة، هي أنه: لم يقل ثلثمائة سنة وتسعاً، أو ثلثمائة وتسع سنين، لاستعمال السنة في العرف وقت نزول الوحي في دورة شمسية لا قمرية، فأجمل العدد ثم بيّنه بقوله: سنين،

فاحتمل أن يكون المميز غيرها كالشهر مثلاً، ثم بين أنّ المدة سنين مبهمة غير معينة، إذ لو قيل: ثلثمائة شهر سنين، فأبدل سنين من مجموع العدد، كانت العبارة صحيحة والمراد سنين كذا عدداً، أي: خمسة وعشرين.

ويؤيده قوله بعده: { قل الله أعلم بما لبثوا } وقال قتادة: هو حكاية كلام أهل الكتاب من تتمة سيقولون: وقوله: { قل الله أعلم } ردّ عليهم.

وفي مصحف عبد الله: وقالوا: { لبثوا } ، وذلك أن اليقين غير محقق

ولا مطرد. { واتْل ما أوحي إليك من كتاب ربّك } يجوز أن تكون (من) لابتداء الغاية، والكتاب هو اللوح الأول المشتمل على كل العلوم

الذي منه أوحى إلى من أوحى إليه، وأن تكون بياناً لما أوحى.

والكتاب هو العقل الفرقاني وعلى التقديرين { لا مبدّل لكلماته } التي هي أصول الدين من التوحيد والعدل وأنواعهما { ولن تجد من دونه ملتحداً } تميل إليه لامتناع وجود ذلك.

{ واصبر نفسك } أمر بالصبر مع الله وأهله وعدم الالتفات إلى غيره

وهذا الصبر هو من باب الاستقامة والتمكين لا يكون إلا بالله

{ مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ }

أي: دائماً هم الموحدون من الفقراء المجرّدين الذين لا يطلبون غير الله

ولا حاجة لهم في الدنيا والآخرة، ولا وقوف مع الأفعال والصفات.

{ يريدون وجهه } أي: ذاته فحسب، يدعونه ولا يحتجبون عنه بغيره

وقت ظهورها غداة الفناء ووقت احتجابها بهم عند البقاء، فالصبر معهم

هو الصبر مع الله، ومجاوزة العين عنهم المنهي عنها هو الالتفات إلى الغير.
{ إنّا أعتدنا للظالمين } أي: المشركين المحجوبين عن الحق لقوله:
{ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان، الآية: 13] { ناراً } عظيمة { أحاط بهم سرادقها } من مراتب الأكوان كالطباع العنصرية والصور النوعية المادية المحيطة بالأشخاص الهيولانية { بماء كالمهل } من جنس الغساق والغسلين،
أي: أو من جنس الغصص والهموم المحرقة.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) *
{ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا
مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً } * { وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً } * { كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً } *
{ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً } *
{ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَداً } *
{ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً } *
{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } * { لَّـٰكِنَّاْ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً } * { وَلَوْلآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً } *
{ فعسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً } * { أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً } *
{ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً } * { وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً } * { هُنَالِكَ ٱلْوَلاَيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً } * { وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً } * (ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

(إنّ الذين آمنوا) بالتوحيد الذاتي لكونهم في مقابلة المشركين { وعملوا الصالحات } من الأعمال المقصودة لذاتها في مقام الاستقامة { إنّا لا نضيّع } أجرهم، وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن الأجر إنما يستحق بالعمل دون العلم، إذ به يستحق ارتفاع الدرجة والرتبة { جنات عدن }

من الجنان الثلاث { يحلون فيها من أساور من ذهب } أي: يزينون فيها بأنواع الحليّ هي من حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الأحدية، إذ الذهبيات من الحليّ هي العينيات والفضيات هي الصفاتيات النورانيات كقوله:{ وَحُلُّوۤاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ } [الإنسان، الآية: 21].

{ ويلبسون ثياباً خضراً } يتّصفون بصفات بهيجة، حسنة، نضرة،

موجبة للسرور { من سندس } الأحوال والمواهب لكونها ألطف

{ وإسْتَبْرق } الأخلاق والمكاسب لكونها أكثف { متكئين فيها على }

أرائك الأسماء الإلهية التي هي مبادئ أفعاله لاتصافهم بأوصافه وكون الصفة مع الذات هي الاسم المستند هو عليه في جنة الصفات والأفعال .

{ نِعم الثواب وحسنت مرتفقاً } في مقابلة:{ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً }.

(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً }
* { وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً } * { وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً
إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً } * { وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلاۤئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُوۤاْ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً } *
{ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ
مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُداً } * { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً } * { وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوۤاْ
أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً } * { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ
لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً } * { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوۤاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلأَوَّلِينَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً } * { وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوۤاْ ءَايَـٰتِي
وَمَآ أُنْذِرُواْ هُزُواً } * { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَـٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا
وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْراً
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىٰ ٱلْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوۤاْ إِذاً أَبَداً } * { وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ
لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً } * (وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً)

(ويوم نسيّر الجبال) أي: نُذْهب جبال الأعضاء بالتفتيت فنجعلها هباءً منثوراً { وترى } أرض البدن { بارزة } ظاهرة مستوية، مسطحة بسيطة، كما كانت، لا صورة عليها ولا تركيب، فيها تراباً خالصاً { وحشرناهم } الضمير إما للقوى المذكورة وإما لأفراد الناس

{ فلم نغادر منهم أحداً } غير محشور.

{ وعرضوا على ربّك } عند البعث { صفّاً } أي: مصطفين مترتبين في المواقف لا يحجب بعضهم بعضاً، كل في رتبته { لقد جئتمونا } أي: قلنا لهم ذلك اليوم: لقد جئتمونا حفاة عراة، غرلاً فرادى، أي: { كما خلقناكم أول مرّة بل زعمتم } بإنكاركم البعث { ألّن نجعل لكم موعداً } وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

{ ووضع الكتاب } أي: كتاب القالب المطابق لما في نفوسهم من هيئات الأعمال الراسخة فيهم { فترى المجرمين مشفقين مما فيه } لعثورهم به على ما نسوا { ويقولون يا ويلتنا } يدعون الهلكة التي هلكوا بها من أثر العقيدة الفاسدة والأعمال السيئة { ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها } لكون آثار حركاتهم وأعمالهم كلها باقية في نفوسهم صغيرة كانت أو كبيرة، ثابتة في ألواح النفوس الفلكية أيضاً، مضبوطة فيها، تظهر عليهم على التفصيل في نشأتهم الثانية لا محيص لهم عنها،

وهذا معنى قوله: { ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحدً } مرّ معنى سجود الملائكة وإباء إبليس. وقوله: { وكان من الجنّ } كلام مستأنف،

كأن قائلاً قال: ما بال إبليس لم يسجد؟ قال: كان من الجنّ، أي: من القوى البدنية المختفية بالمواد، فلذلك { فسق عن أمر ربّه }

أي: لاحتجابه بالمادة ولواحقها.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لاۤ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً) *

(فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَباً) *

(فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَباً) *

{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ

وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَباً).

(وإذ قال موسى لفتاه) ظاهره على ما ذكر في القصص ولا سبيل إلى إنكار المعجزات. وأما باطنه فأن يقال: وإذ قال موسى القلب لفتى النفس

وقت التعلق بالبدن: { لا أبرح } أي: لا أنفك عن السير والمسافرة،

أو لا أزال أسير { حتى أبلغ مجمع البحرين } أي: ملتقى العالمين:

عالم الروح وعالم الجسم، وهما العذب والأجاج في صورة الإنسانية ومقام القلب { أو أمضي حقباً } أي: أسير مدة طويلة. { فلما بلغا مجمع بينهما }

في الصورة الحاضرة الجامعة { نسيا حوتهما } وهو الحوت الذي ابتلع

ذا النون عليه السلام بالنوع لا بالشخص، لأن غداءهما كان قبل الوصول إلى هذه الصورة في الخارج من ذلك الحوت الذي أمر بتزوده في السفر

وقت العزيمة { فاتّخذ سبيله } في بحر الجسد حيّاً كما كان أولاً { سرباً } نقباً واسعاً كما قيل: بقي طريقه في البحر منفرجاً، لم ينضم عليه البحر.

{ فلما جاوزا } مكان مفارقة الحوت وألقي على موسى النصب والجوع،

ولم ينصب في السفر ولا جاع قبل ذلك على ما حكي،

تذكر الحوت والاغتذاء منه وطلب الغداء من فتاه وإنما قال: { آتنا غداءنا } لأن حاله ذلك نهاراً بالنسبة إلى ما قبله في الرحم { لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً } هو نصب الولادة ومشقتها. { قال أرأيت } ما عراني

{ إذ أوينا إلى الصخرة } أي: النحر للارتضاع { فإني نسيت الحوت } لاستغنائنا عنه { وما أنسانيه إلاّ الشيطان أن أذكره } أي: وما أنساني أن أذكره إلا الشيطان على إبدال أن أذكره من الضمير، وذلك لأن موسى كان راقداً حين اتخذ الحوت سبيله في البحر على ما قيل.

وفتى النفس يقظان، فأنسى شيطان الوهم الذي زيّن الشجرة لآدم

ذكر النفس الحوت لموسى لكون الحال حال ذهول

والسبيل المتعجب منه هو السرب المذكور .

(قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصاً) * { فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً } * { قَالَ لَهُ مُوسَىٰ

هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً } * { قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبْراً } * { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً } * { قَالَ سَتَجِدُنِيۤ

إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أمْراً } * { قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْني

عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } * { فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً } *

* (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً)

(قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً)

(قال ذلك) أي: تملص الحوت واتخاذه سبيله الذي كان عليه في جبلته (ما كنا) نطلبه، لأن هناك مجمع البحرين الذي وعد موسى عنده بوجود من هو أعلم منه، إذ الترقي إلى الكمال بمتابعة العقل القدسي لا يكون إلا في هذا المقام { فارتدّا على آثارهما } في الترقي إلى مقام الفطرة الأولى كما كانا أولاً يقصّان { قصصاً } أي: يتبعان آثارهما عند الهبوط في الترقي إلى الكمال حتى وجد العقل القدسي، وهو عبد من عباد الله مخصوص بمزية عناية ورحمة { آتيناه رحمة من عندنا } أي: كمالاً معنوياً بالتجرّد عن المواد والتقدّس عن الجهات. والنورية المحضة التي هي آثار القرب والعندية { وعلمناه من لدنا علماً } من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشريّ.

وقوله: { هل أتبعك } هو ظهور إرادة السلوك والترقي إلى الكمال { إنك لن تستطيع معي صبراً } لكونك غير مطلع على الأمور الغيبية والحقائق المعنوية لعدم تجرّدك واحتجابك بالبدن وغواشيه، فلا تطيق مرافقتي، وهذا معنى قوله:

{ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً } لقوّة استعدادي وثباتي على الطلب { ولا أعصي لك أمراً } لتوجهي نحوك وقبولي أمرك، لصفائي وصدق إرادتي. والمقاولات كلها بلسان الحال.

{ فإن اتّبعتني } في سلوك طريق الكمال { فلا تسألني عن شيء } أي: عليك بالاقتداء والمتابعة في السير بالأعمال والرياضات والأخلاق والمجاهدات، ولا تطلب الحقائق والمعاني { حتى } يأتي وقته، فـ { أحدث لك منه } أي: من ذلك العلم { ذكراً } وأخبرك بالحقائق الغيبية عند تجرّدك بالمعاملات القالبية والقلبية.

{ فانطلقا حتى إذا ركبا } في سفينة البدن البالغ

إلى حدّ الرياضة الصالح للعبودية إلى العالم القدسي في بحر الهيولى

للسير إلى الله { خرقها } أي: نقصها بالرياضة وتقليل الطعام

وأضعف احكامها وأوقع الخلل في نظامها وأوهنها

{ قال أخرقتها لتغرق أهلها } أي: أكسرتها لتغرق القوى الحيوانية والنباتية التي فيها في بحر الهيولى فتهلك { لقد جئت شيئاً إمراً } وهذا الإنكار

عبارة عن ظهور النفس بصفاتها وميل القلب إليها، والتضجر عن حرمان الحظوظ في الرياضة، وعدم القناعة بالحقوق.

{ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً } تنبيه روحي وتحريض قدسي على أن العزيمة في السلوك يجب أن تكون أقوى من ذلك

{ قال لا تؤاخذني بما نسيت } إلى آخره، اعتذاره في مقام النفس اللوّامة.

(فَٱنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً) * { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً } *

{ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْراً } *
{ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً } *
(قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)

(فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً) هو النفس التي تظهر بصفاتها فتحجب القلب فتكون أمّارة بالسوء.

وقتله بإماتة الغضب والشهوة وسائر الصفات.

{ أقتلت نفساً زكية } اعتراض لتحنن القلب على النفس و { ألم أقل لك } تذكير وتعبير روحي و { إن سألتك عن شيء } إلى آخره، اعتذار وإقرار بالذنب واعتراف، وكلها من التلوينات عند كون النفس لوّامة.

{ فانْطَلقا حتى إذا أتيا أهل قرية } هم القوى البدنية، واستطعامهما منهم هو طلب الغذاء الروحاني منهم، أي: بواسطتهم كانتزاع المعاني الكلية

من مدركاتها الجزئية وإنما أبوا أن يضيفوهما وإن أطعموهما قبل ذلك

لأن غذاءهما حينئذ كان من فوقهم من الأنوار القدسية والتجليات الجمالية والجلالية والمعارف الإلهية والمعاني الغيبية لا من تحت أرجلهم

كما كان قبل خرق السفينة،

وقتل الغلام بالرياضة والقوى والحواس مانعة من ذلك لا ممدة،

بل لا تتهيأ إلا بعد نعاسهم وهدوّهم كما قال موسى لأهله: امكثوا.

والجدار الذي { يريد أن ينقض } هو النفس المطمئنة وإنما عبر عنها
بالجدار لأنها حدثت بعد قتل النفس الأمّارة وموتها بالرياضة،

فصارت كالجماد غير متحركة بنفسها وإرادتها، ولشدة ضعفها كادت تهلك،
فعبر عن حالها بإرادة الانقضاض.

وإقامته إياها تعديلها بالكمالات الخلقية و الفضائل الجميلة

بنور القوة النطقية حتى قامت الفضائل مقام صفاتها من الرذائل.

وقول موسى عليه السلام: { لو شئت لتخذت عليه أجراً } تلوين قلبي

لا نفسي، وهو طلب الأجر والثواب باكتساب الفضائل واستعمال الرياضة،
ولهذا أجابه بقوله: { هذا فراق بيني وبينك } أي: هذا هو مفارقة مقامي
ومقامك ومباينتهما والفرق بين حالي وحالك، فإن عمارة النفس بالرياضة
والتخلق بالأخلاق الحميدة ليست لتوقع الثواب والأجر،

وإلا فليست فضائل ولا كمالات لأن الفضيلة هي التخلق بالأخلاق الإلهية
بحيث تصدر عن صاحبها الأفعال المقصودة لذاتها لا لغرض.

وما كان لغرض فهو حجاب ورذيلة لا فضيلة والمقصود هو طرح الحجاب
وانكشاف غطاء صفات النفس، والبروز إلى عالم النور لتلقي المعاني الغيبية
بل الاتصاف بالصفات الإلهية بل التحقق بالله بعد الفناء فيه لا الثواب

كما زعمت { سأُنَبِّئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً } أي: لما اطمأنت
النفس واستقرّت القوى أمكنك قبول المعاني وتلقي الغيب الذي نهيتك

عن السؤال عنه حتى أحدث لك منه ذكراً فسأذكر لك

وأنبئك بتأويل هذه الأمور إذا استعددت لقبول المعاني والمعارف.

(أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا

وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً) * { وَأَمَّا ٱلْغُلاَمُ

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً } *

(فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً)

(أما السفينة فكانت لمساكين) في بحر الهيولى، أي: القوى البدنية من الحواس الظاهرة والقوى الطبيعية النباتية، وإنما سماها مساكين لدوام سكونها وملازمتها لتراب البدن وضعفها عن ممانعة القلب في السلوك والاستيلاء عليه كسائر القوى الحيوانية. وحكي أنهم كانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر،

وذلك **إشارة** إلى الحواس الظاهرة والباطنة { فأردت أن أعيبها } بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الأمّارة غصباً وهو الملك الذي كان وراءهم أي: قدّامهم { يأخذ كل سفينة غصباً } بالاستيلاء عليها واستعمالها في أهوائه ومطالبه { وأما الغلام فكان أبواه } اللذان هما الروح والطبيعة الجسمانية { مؤمنين } مقرين بالتوحيد لانقيادهما في سلك طاعة الله وامتثالهما لأمر الله وإذعانهما لما أراد الله منهما { فخشينا أن يرهقهما } أي: يغشيهما { طغياناً } عليهما بظهوره بالأنائية عند شهود الروح { وكفراً } لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه أو كفراً بالحجاب فيفسد عليهما أمرهما ودينهما ويبطل عبوديتهما لله { فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة } كما بدّلهما بالنفس المطمئنة التي هي خير منه زكاة، أي: طهارة ونقاء { وأقرب رحماً } تعطفاً ورحمة لكونها أعطف على الروح والبدن وأنفع لهما، وأكثر شفقة. ويجوز أن يكون المراد بالأبوين الجدّ والأب، فكان كناية عن الروح والقلب. وكونه أقرب رحماً أنسب لهما وأشدّ تعطفاً .

(وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً } *

{ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً } *

{ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً } * { فَأَتْبَعَ سَبَباً } *

{ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً } *

{ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً)

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة } أي: العاقلتين النظرية والعملية المنقطعتين عن أبيهما الذي هو روح القدس لاحتجابهما عنه بالغواشي البدنية أو القلب الذي مات أو قتل قبل الكمال باستيلاء النفس في مدينة البدن { وكان تحته كنز لهما } أي: كنز المعرفة التي لا تحصل إلا بهما في مقام القلب لإمكان اجتماع جميع الكليات والجزئيات فيه بالفعل وقت الكمال وهو حال بلوغ الأشد واستخراج ذلك الكنز.

وقال بعض أهل الظاهر من المفسرين:

كان الكنز صحفاً فيها علم { وكان أبوهما } على كلا التأويلين { صالحاً } وقيل: كان أباً أعلى لهما حفظهما الله له، فعلى هذا لا يكون إلا روح القدس.

قصة ذي القرنين مشهورة وكان رومياً قريب العهد والتطبيق،

إن ذا القرنين في هذا الوجود هو القلب الذي ملك قرنيه، أي: خافقيه شرقها وغربها { إنّا مكنّا له } في أرض البدن بالإقدار والتمكين على جمع الأموال

من المعاني الكلية والجزئية والسير إلى أيّ قطر شاء من المشرق والمغرب.

{ وآتيناه من كل شيء } أراده من الكمالات { سبباً } أي: طريقاً يتوصل به

إليه { فأتبع } طريقاً بالتعلق البدني والتوجه إلى العالم السفلي.

{ حتى إذا بلغ مغرب الشمس } أي: مكان غروب شمس الروح

{ وجدها تغرب في عين حمئة } أي: مختلطة بالحمأة، وهي المادة البدنية الممتزجة من الأجسام الغاسقة كقوله:{ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } [الإنسان، الآية: 2].

{ ووجد عندها قوماً } هم القوى النفسانية البدنية والروحانية ،

{ قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تُعذب } بالرياضة والقهر والإماتة،

{ وإما أن تتخذ فيهم حسناً } بالتعديل وإيفاء الحظ. { قال أمّا من ظلم } بالإفراط وعدم الاستسلام والانقياد كالشهوة والغضب والوهم والتخيل

{ فسوف نعذّبه } بالرياضة { ثم يردّ إلى ربّه } في القيامة الصغرى

{ فيعذّبه } بالإلقاء في نار الطبيعة { عذاباً نكراً } أي: منكراً أشدّ من عذابي، أو في القيامة الكبرى فيعذبه عذاب القهر والإفناء.

(وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً } * { ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً } * { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْراً } * { كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً } *

{ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً } * { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً } * { قَالُواْ يٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً)

(وأما من آمن } بالعلم والمعرفة كالعاقلتين و الفكر والحواس الظاهرة (وعَمِل صالحاً } بالسعي في اكتساب الفضائل والانقياد والطاعة { فله جزاء } المثوبة { الحسنى } من جنة الصفات وتجليات أنوارها وأنهار علومها

{ وسنقول له من أمرنا يسراً } أي: قولاً ذا يسر بحصول الملكات الفاضلة.

{ ثم أتبع } طريقاً هي طريق الترقي والسلوك إلى الله بالتجرّد والتزكي

{ حتى إذا بلغ مطلع الشمس } أي: مطلع شمس الروح

{ وجدها تطلع على قوم } هم العاقلتان والفكر والحدس و القوة القدسية

{ لم نجعل لهم من دونها ستراً } أي: حجاباً لتنوّرهم بنورها وإدراكهم المعاني الكلية { كذلك } أي: أمره كما وصفنا { وقد أحطنا بما لديه }

من العلوم والمعارف والكمالات والفضائل { خبراً } أي: علماً، ومعناه:

لم يحط به غيرنا لكونه الحضرة الجامعة للعالمين فليس في الوجود

من يقف على معلوماته إلا الله ولأمر ما سمي عرش الله.

{ ثم أتبع } طريقاً بالسير في الله { حتى إذا بلغ بين السدّين } أي: الكونين، وذلك مرتبته ومقامه الأصلي بين صدفي جبلي الإله والسير في المشرق والمغرب سفرة تنزلاً وترقياً { وجد من دونهما قوماً } هم القوى الطبيعية البدنية والحواس الظاهرة { لا يكادون يفقهوه قولاً }

لكونها غير مدركة للمعاني ولا ناطقة بها.

{ قالوا } بلسان الحال { إنّ يأجوج } الدواعي والهواجس الوهمية

{ ومأجوج } الوساوس والنوازع الخيالية { مُفْسدون }
في أرض البدن بالتحريض على الرذائل والشهوات المنافية للنظام
والحث على الأعمال الموجبة للخلل فيه وخراب القوانين الخيرية
والقواعد الحكمية وإحداث النوائب والفتن والأهواء
والبدع المنافية للعدالة المفتضية لفساد الزرع والنسل.

{ فهل نجعل لك خرجاً } بإمدادك بكمالاتنا وصور مدركاتنا
{ على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً } لا يتجاوزونه وحاجزاً لا يعلونه،
وذلك هو الحد الشرعي والحجاب القلبي من الحكمة العملية.

(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً) *
{ آتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِيَ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً } * { فَمَا ٱسْطَاعُوۤاْ أَن يَظْهَرُوهُ
وَمَا ٱسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً } * { قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي
جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً } * (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً)

(قال ما مكنّي فيه ربي) من المعاني الكلية والجزئية الحاصلة بالتجربة
والسير في المشرق والمغرب { خير فأعينوني بقوة } أي: عمل وطاعة
{ أجعل بينكم وبينهم ردماً } هو الحكمة العملية والقانون الشرعي.
{ آتوني زُبُرَ الحديد } من الصور العملية وأوضاع الأعمال

{ حتى إذا ساوى بين الصدفين } بالتعديل والتقدير { قال } للقوى الحيوانية { انْفخوا } في هذه الصور نفخ المعاني الجزئية والهيئات النفسانية من فضائل الأخلاق { حتى إذا جعله ناراً } أي: علماً برأسه من جملة العلوم يحتوي على بيان كيفية الأعمال { قال آتوني أفرغ عليه قطراً } النية والقصد الذي يتوسط بين العلم والعمل، فيتحد به روح العلم وجسد العمل كالروح الحيواني المتوسط بين الروح الإنساني والبدن، فحصل سدّ،

أي: قاعدة وبنيان من زبر الأعمال ونفخ العلوم والأخلاق وقطر العزائم والنيات، واطمأنت به النفس وتدبرت فآمنت.

{ فما اسْطَاعوا أن يظهروه } ويعلوه لارتفاع شأنه وكونه مشتملاً على علوم وحجج لم يمكنهم دفعها والاستيلاء عليها { وما اسْتَطاعوا له نقباً } لاستحكامه بالملكات والأعمال والأذكار. { قال هذا } السدّ، أي: القانون

{ رحمة من ربّي } على عباده، يوجب أمنهم وبقاءهم { فإذا جاء وعد ربّي } بالقيامة الصغرى { جعله دكّاً } باطلاً، منهدماً، لامتناع العمل به عند الموت وخراب الآلات البدنية.

{ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض } بالاضطراب والاختلاط،

أي: تركناهم يختلطون لاجتماعهم في الروح مع عدم الحيلولة.

{ ونفخ في الصور } للبعث في النشأة الثانية { فجمعناهم جمعاً } أو بالقيامة الكبرى حال الفناء وظهور الحق. جعله دكّاً لارتفاع العلم والحكمة هناك، وظهور معنى الحل والإباحة بتجلي الأفعال الإلهية وانتفاء الغير وفعله،

{ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض } ، حيارى، مختلطين شيئاً واحداً

لا حراك بهم. { ونفخ في الصور } بالإيجاد بالوجود الحقّاني حال البقاء

{ فجمعناهم جمعاً } في التوحيد والاستقامة والتمكين وكونهم بالله لا بأنفسهم.

(وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً) * { ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً } * { أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوۤاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيۤ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً } *

{ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً } * { ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً } * { أُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً } *

{ ذَلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوۤاْ آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً } *

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً } *

{ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } * { قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً } *

{ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً)

(وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين) أي: يوم القيامة الصغرى يتعذب المحجوبون عن الحق بأنواع العذاب والنيران كما ذكر في سورة الأنعام أو في ذلك الشهود، أي: ظهر لصاحب القيامة الكبرى تعذبهم في نار جهنم { كانت أعينهم في غطاء عن ذكري } أي: محجوبة عن آياتي وتجليّات صفاتي الموجبة لذكري

{ لا يبغون عنها حولاً } أي: تحولاً لبلوغهم الكمال الذي يقتضيه استعدادهم، فلا شوق لهم إلى ما وراءه وإن وجد كمال وراء ذلك

لعدم إدراكهم له فلا ذوق ولا شوق،

وكونهم في مقابلة المشركين المحجوبين عن الحق بالغير.

وكون جنّاتهم جنّات الفردوس يدلان على أن المراد بهم هم الموحدون الكاملون الاستعداد الذين لا كمال فوق كمالهم،

فلا يبقى شيء وراء مرتبتهم، يريدون التحوّل إليه.

{ قل لو كان البحر } أي: بحر الهيولى القابلة للصور الممدّة لها في الظهور

{ مداداً لكلمات ربّي } من المعاني والحقائق والأعيان والأرواح

{ لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي } لكونها غير متناهية

وامتناع وفاء المتناهي بغير المتناهي، والله أعلم .

تم بفضل الله

إختصار وإعداد:قدرى جاد

2025/1/22

الهرم_على بن أبى طالب